



هذه طباع الناس معروضة
نخالطوا العالم أو فارقوا ،
أبو العلاه ،

اجتماع الحبيبين

٥٠١١١٠٥٩

في زمن حكم غليوم ملك صقلية كان يعيش في مملكته رجل من الاعيان اسمه
السيد امبرى ، رئيس دير « تراباني » وكان ينعم بثروة عظيمة
خلف هذا السيد ذرية كثيرة من الاطفال فأحوجه ذلك الى كثير من الخدم .
وتم عزم على شراء كثير من صغار العبدان الذين اختطفهم من أطراف « أرمينيا » بعض
من يحترفون القرصنة من أهالي « جنوا » وجاءوا بهم من الشرق .
وكان بين أولئك العبدان الصغار الذين هم على ما يظهر من أصل تركي ويشبهون
الرعاة طفل تبدو على وجهه الوداعة أكثر من الآخرين وتلوح على سياه دلائل
النبل والرفعة
وكان اسمه « نيدور » وهو وإن كان عبدا رقيقا إلا أنه نشأ بعد ذلك وترعرع
بين أطفال السيد إمبر وكان لا يأكل إلا معهم .

وكلما كبر نمت عواطفه وتيقظ شعوره وتنهب طبيعته الحساسة التي لم تكن تماثل طبيعة العبيد

وجماع القول أنه عرف كيف يهرسده بمزايه النادرة حتى أعتقه واقنع بأنه من أصل تركي عريق فعمده وأسماه « بطرس » وجعله أمينه

وكان للسيد إمبرى فتاة اسمها « فيولانت » على جانب عظيم من الامانة وهى ذات وجه فاتن جذاب وكانت حينئذ فى المرحلة السعيدة من العمر حيث يبدأ الشعور بالحاجة الى الحب .

لم يكن يفكر أبوها فى تزويجها فألمها هذا الإهمال ووقعت فى حب بطرس - وقد كانت لا تتردد فى إظهار حبها له عن طيبة نفس - لو لم يمنعها الحياء عن ذلك . وكان ما يلقاه بطرس الفتى من إكرامها - مع ما ركب فى نفسه من الصفات الكريمة التى خصته الطبيعة بها - سببا فى توليد ميل فيه نحوها لم ينشب ان صار هياما حقا بكل معانى هذه الكلمة .

ولكنه لم يجرؤ على اطلاعها على ما يكنه لها قلبه من هوى وتحامى جهده أن يعمل أو يقول قولاً يدل على ذلك

فلم يتسرب الى أحد فى البيت أى ظن ولا حامت حوله أية ريبة . ولكنه كان اذا خلا مع (فيولانت) - أقل حذراً ، فلم تخف عليها حاله وسهل عليها الاهتمام الى حبه اياها من خلال إجلاله واحتراسه الدائمين .

وأرادت أن تشجعه على الحب فأخذت ترعاه منذ ذلك الحين فلا تبدى له سخطا أو غضبا اذا رأت تنهده الذى كان يديه أمامها أو نظراته المختلصة التى لم ينقطع عن استراقها منها .

وبالرغم من كل العقبات لجأ الى لغة العيون وان كانا يودان لو أتاحت لهما فرصة الافضاء بالكلام الصريح .

وأخيراً رق لحالهما الزمن فأمكنتهما الفرصة من تحقيق ذلك الأمل المحبوب ، وأزالت الحوف الذى كان يحول بينهما وبين الافضاء بحقيقة هيام كل منهما بالآخر

كان للسيدة امبرى - على بعد نصف فرسخ من تراباني - قصر في الريف على جانب كبير من الفخامة ، تذهب اليه زوجها وابنته مع سيدات اخريات فيقضين فيه اوقات السرور والانشراح

ففي ذات يوم خرجت تلك السيدة ورقفتها - وخرج بطرس في صحبتهن حسب عادته - ولما حان وقت العودة إلى المدينة غامت السماء وتلبدت فجأة بالسحب - وكان ذلك يحدث كثيرا في فصل الصيف - وأنذر كل مافي الطبيعة بقرب هبوب العاصفة .

وخشيت السيدة امبرى ورقيقاتها أن يعوقن ذلك عن الوصول إلى المنزل فأسرعن بالعودة إلى « تراباني » وظلن يسرن الخطأ ليصلن في أقرب وقت

أما الفتى والفتاة فقد حمسهما الحب وبعث فيهما من القوة والنشاط ما أنساها شدة العاصفة فسارا أمام الجميع مغذين السير إغذاذا وتقدماهما بمسافة كبيرة وما زالا يغذان السير حتى غابا عن الأنظار ثم قصفت الرعود داوية مجلجلة وقامت على أثر ذلك زوبعة هائلة اضطرت الأم ورفيقاتها إلى الالتجاء إلى كوخ مزارع في الطريق

أما « بطرس » و « فيولانت » فلم يجدا أمامها ملجأ يحتميان به الاطلالا باليا تهدمت جوانبه فلم يبق فيه الا لوح واحد من ألواح السقف فوقفا تحته يتقيان به هطول المطر واضطرهما ضيق المكان إلى تلاصق جسميهما معا ، وقرب بينهما هذا التلاصق وزاد توثيق عرى الألفة بينهما كما أثلج قلبيهما الهائمين وأتاح لهما فرصة الافضاء بما يحنه قلوبهما من الوجد - بصراحة لا مواربة فيها - فبدأها الفتى المحب قائلا:-

« كم أنا مدين لهذه العاصفة بالسعادة و كم يبهجنى أن تطول فلا تنتهي أو تتحول إلى أبد - لو كان ذلك في حدود الامكان - حتى أظل هكذا سعيدا بالقرب منك يا حبيبتي ،

فأجابته الفتاة

« ليت ذلك في الامكان »

ولم تكد تتم قولها حتى تناول « بطرس » يدها بلهفة المشوق وانهاه عليها بالقبلات ، وأجابت الفتاة انعطافه وتودده بمثلها وأكثر ثم تعانقا والتقت شفاههما المحترقة بنار

الوجد وأسرفا في اجتهاء أعذب ثمار الحب منتقمين من تلك الايام الطويلة التي لم يتمكن فيها من.



بطرس وفيلولانت

المصارحة بحبيهما .
ولن أندخل في
تفصيل ما تذوقاه —
حيث — من صنوف
اللذات في تلك الخلوة
المنفردة التي التقيا فيها
رأساً إلى رأس
وحسبي إن أقول
إن العاصفة لم تنته
الابعد أن نعماً بكل

ما يمكن أن نعم به حبيبان لا يقل هيام أحدهما عن هيام الآخر، دون أن يحسب للمستقبل حساباً

سكنت العاصفة فسارا في طريقهما الاولى حتى بلغا أبواب المدينة ثم انتظرا
وصول بقية الرقعة، فلما حضرت ذهبوا جميعاً إلى المنزل
ولم ينس الحبيبان — بعد ذلك — تلك السعادة التي نعم بها في ذلك الطلل المتهديم
فترقب اسنوح الفرص حتى إذا أمكنتهما لم يدعاهما تقلت من أيديهما دون أن ينتزهاها ،
ولم يرتب في أمرهما أحد، وتكرر ذلك الامر حتى حملت منه الفتاة فحزنهما ذلك أشد
الحزن، وحاولت فيولانت، أن تتخلص من حملها وطرقت في ذلك كل حيلة فلم تنجح
ولم يكن بطرس أقل هما منها فقد أيقن أن ذلك الحادث لن يمدون أن يودى بحياته
فصمم على الهرب وكشف حبيته بعزمه فقالت له :
إذا هربت فاني أقتل نفسي بلا تردد ، :

— وماذا تريد أن أعمل يا حبيبي بعد أن يظهر أمرك وتكشف حيلتنا؟ انهم
سيرحونك لضعفك ويجدون لك من ذلك الضعف شفيحاً، أما أنا فإذا شفع لي أنا العن المسكين
الذي لا يخفف من شناعة جرمه أي اعتبار فهل تريدني على أن استهدف لنقمة أليك العادلة
وأذهب ضحية غضبه الحق ؟ ،

—: لن أستطيع أن اخفى جرمى طويلا ، ذلك أمر مقرر أعترف لك به ، ولكن كن على ثقة يا حبيبى أنك — اذا حافظت على كتمان سرى كما احافظ انا — فلن يستطيع أحد أن يعرف أنك أنت الذى ارتكب هذا الجرم أو اشترك فيه قط ، ثقبذلك واعتمد على حبك وإخلاصى لك . .

وعلى هذا الشرط قبل حببها أن يبقى فى البيت وقال
« سأظل مقبيا هنا ، فاذكرى وعدك هذا يا حبيبتى . »

ورأت « فيولانت » أن بطنها تعلق قليلا قليلا على مر الايام وعلت أن من المحال أن تخفى حالها طويلا فكشفت امها بحقيقة أمرها وتوسلت اليها — والدموع فى مآقيها — راجية منها أن تنقذها من هذه الورطة .

ولم تكذب تعلم امها بذلك منها حتى أفعم قلبها بأساً ، فانهاالت عليها لوما وتعنيفاً وسبابا وطلبت إليها أن تخبرها باسم من جنى عليها وهتك عفافها . ولكن الفتاة تحاشت أن تذكر اسم حبیبها حتى لا تعرضه للخطر ، فلفقت لأمها اكنوبة لم ترتب الام فى صدقها وأخذتها حقيقة مسلما بها ، وترقت الام وابنتها فرصة سانحة فرحلا معا الى الريف .

وحان وقت الوضع وأحست الفتاة بالطلق فظلت ترسل صيحات الألم عالية داوية فى اجواز الفضاء ، وانها لكذلك اذ عاد ابوها من الصيد ولم يكذبصل الى منزله ليستريح من العناء حتى قرع أذنيه صوت ابنته المتألمة وصرخاتها العالية فالسرع الى غرفتها توا ، ولم يكذب يرى أمها حتى سألها عن جلية الأمر .

بهتت الأم حين رآته أمامها ورأت كل انكار لا يجدى فاضطرت الى الافضاء اليه بحكاية ابنتهما كما سمعتها منها بلا تحريف . ولكنه كان أقل انخداعا من زوجها وأقل اغضاء فلم يقتنع بذلك التلفيق وقال لها إن من المحال على « فيولانت » أن تجهل الشخص الذى حملت منه . وليس لها مناص — اذا أرادت أن يصفح عن زلتها — من أن تصارحه بالحقيقة كاملة ، والا كان جزاءها الموت المحقق بلا رحمة .

بذلت الأم كل ما فى وسعها فى تهدئة زوجها وتخفيف غضبه ، أكدت له أنها

ستنفذ اشارته ، محاولة بذلك أن تشغله قليلا أو تهدىء من روعه ولكن شيئا من ذلك لم يجد ولم تستطع ان ترضاه بهذه الوسيلة .

فقد اقترب الزوج من ابنته — شاهرا في يده حسامه — وكانت قد وضعت غلاما : أثناء ذلك الحوار ، فلم يرث لضعفها واقبل عليها غاضبا ، فخيرها بين موت وشيك أو تفضي له باسم والد الطفل . وثمة حملها الخوف على خيانة حبیبها ، فاعترفت لآيها بكل شيء بعد أن ترددت كثيرا في الافضاء اليه بالحقيقة .

اشتد حقن امبرى ، حين عرف مقترف ذلك الأثم فانهال عليها سبا وتعنيفا وكان ينفذ سيفه في جسمها ، لو لا أنه غالب نفسه مغالبة شديدة وموجلا انتقامه منها الى وقت آخر .

وظل يصب عليها من اللعنات والسباب ماشاء له غضبه حتى نفس بذلك عن صدره قليلا . ثم ركب جواده عائدا الى « ترا بانى » وكان أول همه — بعد أن بلغ المدينة — أن يذهب الى السيد « كونوراد » الذى كان متوليا القضاء فى ذلك البلد ونائبا عن الملك فيه . ولم يكدر يرفع اليه شكواه حتى أمر بالقبض على « بطرس » فى الحال وشرعوا يحققون معه ولجأوا الى وسائل التعذيب القاسية حتى أرهقوه ارهاقا فأقر لهم بكل شيء . ولم يكدر ذلك التمس يعترف لهم بجرمه حتى حكموا عليه بالاعدام شنقا — بعد أن يجلد أولا فى ميادين المدينة

ولقد سر « امبرى » من ذلك الانتقام وان كان لم يشف كل غليله ويرضى شهوة انتقامه الجاححة كلها ، فصمم على اكمال ظفره بقتل ابنته وولدها فى نفس اليوم الذى يشق فيه عشيقها وامتلأت نفسه بتحقيق تلك الفكرة السوداء فنادى خادما له يثق به ويعتقد بأمانته ، فخرج أمامه بالسهم بالنيذروضعهما فى قدح وناولته إياه كما أعطاه حساما أيضا ، ثم قال له - :

« اذهب الى « فيولانت » فقل لها - واحذر أن تخالف أمرى — إنها خيرة بين إحدى الميتين بالسهم أو بالسيف . فاذا أتت أذقتها ماهى جديدة به من النكال على ملاء من الناس .

ومضى انتهى من ذلك فخذ طفلها الذى أتت به الى هذا العالم فاضغط

رأسه بين يديك وبين الحائط ثم الق به في أقذر طريق من الطرق .

كان الخادم متوحشاً ميالاً الى الشر والاجرام فذهب لتحقيق أمر سيده دون أن يشعر بشيء من الكراهية لادائه .

وكان لابد من إنجاز كل هذه الاعمال الفظيعة - البالغة أقصى حدود القسوة - في نفس اليوم الذي يعدم فيه «بطرس» .

ولقد أخرجوا «بطرس» من سجنه الضيق - بعد أن جلدوه مائة جلدة - وذهبوا به الى ساحة الاعدام ، فمروا أثناء سيرهم بنزل شهير كان فيه وقتئذ ثلاثة من الارمن ذوي الخطر ، وكان ملكهم قد أرسلهم الى «روما» ليقابلوا «البابا» رغبة في تسوية مسألة هامة عظيمة الخطر ، وعن لهم أن يمضوا بضعة أيام في تلك المدينة فلما علم بذلك أعيانها وسراتها أسرعوا الى لقائهم والاحتفاء بمقدمهم .

وبلغ اسماع أولئك السفراء نبأ قدوم ذلك المجرم فأطلوا من النوافذ لرؤيته - وكان عارياً من رأسه الى وسطه وكانت يده مغلولتين الى ظهره - ورآه «فينيه» - أحد السفراء الثلاثة وكان شيخاً وقوراً جليل القدر فاهتم لأمره ولمح على صدره علامة كبيرة حمراء اللون حبهتها الطبيعة - من ذلك النوع الذي يطلق عليه النساء هنا اسم (الورد) ويسمونه أيضاً (وحما) - ولم يكد يراها حتى أعادت الى ذهنه في الحال ذكرى أحد أطفاله وكان قد اختطفه قرصان منذ خمسة عشر عاماً وانقطعت عنه أخباره منذ ذلك الحين ، وذكر أن ولده لوعاش الى اليوم لأصبح في مثل هذه السن ، فساورتها الشكوك والقلق على هذا الغلام وخشى أن يكون ولده ولكي يحسم هذه الشكوك ناداه باسمه ، ولم يكد يسمع «بطرس» نداه حتى رفع اليه بصره - عن غير قصد - وثمة وقف الجلادون احتراماً للسفير ، فسأل المتهم من أى بلد هو ومن أبوه ، فقال «بطرس» - أنا من «أرمينية» واسم أبى «فينيه» وقد جاءني الى هنا قوم لا أعرف من هم

وثمة لم يرتب «فينيه» بعد أن سمع منه هذا الجواب في أنه ولده فأسرع الى ضمه وأقبل زميلاً عليه يهتونه بلقائه ورأى الجلادون ذلك فكفوا عن شق الغلام ، ثم القى السفير على ولده معطفاً ثميناً ليغطي به جسمه ، وأخذ من الضابط أمراً بوقف التنفيذ حتى يصدر أمر آخر ، ولما علم السفير من أفواه الناس السبب الذي حكموا على

ابنه بالشئ من أجله . ذهب ومعه السفيران ورجال الحاشية الي السيد «كونوراد» فقال له - «ان الذى حسبته عبداً ليس إلا حراً وهو ولدي وأنا أبوه وهو مستعد للزواج من تلك الفتاة التى يزعمون أنه غرر بها ، فافرق به من أجلى حتى نرى نواياه، فإذا قبلته الفتاة زوجا لها عفوت عنه دون أن تكون قد خالفت القانون أو عملت ضد نصوصه .»

نجعل الحاكم من تسرعه فى الحكم على ابن السفير الذى كان يحسبه عبداً رقيقاً وشعر بدهشة شديدة ، وأدرك أن «فينيه» على حق فى طلبه فأقره فى الحال . ثم أرسل الى «امبرى» فأحضره وقص عليه ما حدث ، فتعاطمت دهشته ، وكان لا يشك فى أن ذلك الحكم القاسى قد نفذ فى ابنته فندم أشد الندم على تسرعه ولكنه أسرع بإرسال رجل آخر الى ابنه ليحول دون إهلاكها إذا كان فى الوقت متسع . وقد وصل ذلك الرسول — لحسن الحظ — قبل فوات الفرصة فوجد الخادم واقفا أمام سرير «فيولانت» ممسكا السيف باحدى يديه والسهم بالآخرى محاولا ارغام الفتاة المسكينة على تخير إحدى الميتين فأظهر له ما قرره سيده، فاطمأنت الفتاة وعاد الرجلان الى سيدهما ليخبراه بما تم .

امتلات نفس «امبرى» فرحا بذلك فذهب الى لقاء السفير «فينيه» معترداً اليه جهده طالبا منه الصفح عن تلك الخشونة التى عامل بها رفيقه القديم مؤكداً له أنه يكون أسعد الناس إذا تزوج «تيودور» من ابنته التى يسمح له بها عن طيبة خاطر، فقبل منه «فينيه» اعتذاره وأخبره أنه شديد الرغبة فى تزويج ولده من ابنته مؤكداً له أنه إذا رفض ذلك لم يكن له من جزاء على رفضه الا الاعدام وكذلك تم الاتفاق بين الأبوين ، فذهب الى تيودور الذى لم يكن قد عاد إلى رشده بعد من الذعر الذى اشتمل عليه . ولم يكده يطلب اليه أن يقترن بفيولانت حتى نسي كل آلامه لفرط ما غمره من السرور والابتهاج وقال له

— : «ليس أشهى الى قلبي من تحقيق هذه الأمنية التى ستجعلني — إذا تمت —

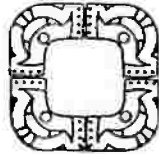
أسعد إنسان فى العالم .»

ثم بعثوا الى «فيولانت» يسألونها عن رأيها فى الاقتران بتيودور ، فلم تكده تسمع منهم ذلك حتى تبدلت آلامها فرحا وامتلات نفسها أنساً وابتهاجا وقالت:

لهم انها لا ترى في العالم كله ما يعدل سرورها بهذا الزواج من جيبها وتودور، وهكذا
تم عقد الزواج في نفس اليوم وان كانوا قد ارجأوا حفلة العرس حتى يعود فينيه، بعد
أن يتم مهمته التي جاء من أجلها مع البابا
وقد ابتهج كل من في المدينة بخلاصهما واقبلت فيولانت، على طفلها ترضعه
وصفا لها الوقت فاشرق جمالها واكمل حسناتها ولم تكذ تنتهي من أيام النفاس حتى عاد
فينيه، من روما فلم تتوان في القيام بواجب حميها على أتم وجه، وقد رأى السفير منها
ما بهره من جمال وأمانة فعاملها كما يعامل ابنته وقد تمت حفلة العرس على أحسن ما
تم عليه حفلة من بهاء وروعة

* * *

وبعد أيام قلائل عاد فينيه، الى وطنه ومعه ابنه وزوج ابنه وطفلها فوصلوا الى
بلدهم سالمين، وعاش الزوجان عيشة هادئة لذينة ناعمين بين أحضان الحب .
وقد يجمع الله الشئتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
تمت



أوبرا ت أبي شادي
ثروة أدبيّة فنيّة
من شعر الغناء والمُثيل
تطلب من المكاتب الشهيرة